مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

ورقة بحثية

هل أعادت النازية إنتاج نفسها من خلال الصهيونية؟

عبير جميل سليمان

مقدمة

بعد حوالي ثمانين عاماً مِن انتهاءِ المحرقةِ النازيةِ التي قامت بتصفيةِ ملايين البشرِ المنتمين إلى فئاتٍ عرقيّةٍ وسياسيةٍ مختلفة، من يهود وغجرٍ ومعاقين ومعارضين أوروبّيّين وغيرهم، تعود إلى الذاكرة اليومَ مشاهدُ غرفِ الغازِ والإبادةِ الجماعيةِ الفظيعةِ التي ارتكبها النظامُ النازيّ عندما كان قوّةً عظمى تهدّد أمنَ سائرِ البلاد الأوروبية، وسببُ استحضار ذاكرتنا لتلك الصور حدوثُ محرقةِ خيامِ دير البلح في غزة، التي جاءت بعد مسلسلٍ طويلٍ من المجازر وعمليات القتل والتهجير والتدميرِ المتواصلة لفلسطيني القطاع، تَلتْ هذا المسلسلَ أحداثٌ تنذر بِنيّة حكومةِ الكيان الصهيوني القيام بسيناريوهاتٍ مشابهة في جنوب لبنان.

توطئة عن حال النازية بعد الحرب العالمية الثانية

يعرف معظمُنا كيف تحوّلت الأفكارُ والممارساتُ النازيةُ بعد الحربِ العالميةِ الثانية إلى تهمةٍ تكلّف صاحبها الكثيرَ قانونيّاً باعتبارها أفكاراً وممارساتٍ عنصريةً وإقصائيةً قائمة على نبذِ الآخر والتخلُّصِ منه انطلاقاً مِن معتقداتٍ ونظرياتٍ فلسفية، داروينيّة ونيتشويّة، تجعل معتنقَ النازية يرى نفسَه إنساناً متفوقاً على الآخرين. مِثلُ هذه الأفكار لا يصلح تداولها الآن في دولٍ تزعم انحيازَها المطلقَ للحريةِ والإنسانِ والعدلِ والمساواة، لكن، ورغم هذا الزعم، ما زالت معظمُ حكومات دول أوروبا مناصرةً شرسةً للصهيونية، غير مباليةٍ بتلاقي الصهيونيةِ مع النازيةِ والفاشية في كثير من النقاطِ المشتركة، التي تقوّض أسسَ العدلِ والحرية والمساواة بين البشر، بتعبيرٍ أفضل؛ لا شك بأن الصهيونية مهما غلّفت وسائلها وغاياتها، ذات طبيعة عنصرية إلغائية، لا سقف لطموحاتها التوسعية. وفي ظلّ هذه الرعاية الأوروبية غير المشروطةِ للصهيونيةِ يطرح السؤال التالي نفسه: هل النزعةُ الكولونياليةُ التي أفرزت النازيَّ (المتفوقَ) أعادت إنتاج نفسها مِن خلال الصهيونية؛ حيث

أرادت استعادةَ طموحاتِها التي تهشّمتْ بموت هتلر، عبر دعم المؤسّساتِ الصهيونية؟

ظروف تلاقي التيارات النازية والفاشية والصهيونية في بداية القرن العشرين

يبدو السؤال منطقياً ومشروعاً إذا قمنا بمراجعةِ الظروف المحيطة بانتشارِ الفكرِ الصهيوني والنازيّ والفاشيّ جنباً إلى جنب في أوروبا منذ بدايات القرن العشرين. ففي كتاب (الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ) يلقي المفكّر (عبد الوهاب المسيري) الضوءَ على الترابطِ الفكريّ المتين بين الصهيونية والنازية، إذ يبيّن أنّ الصهيونية تبنّت الأفكار الفاشية وأقامت علاقاتٍ مع النظامين الفاشيّ في إيطاليا والنازيّ في ألمانيا، فلقد زار حاييم وايزمان رئيسُ المنظّمة الصهيونيّة موسوليني في يناير عام 1923م لمحاورته بشأنِ الصهيونيةِ وتقديم الدعم لها، واستطاع إقناعه بأنّ الدورَ الذي تلعبه الصهيونيّة لإضعافِ الدولِ الإسلامية مِن شأنه أن يصبَّ في مصلحة إيطاليا. الأمر الذي قاد لاحقاً إلى تقديم موسوليني المساعدةَ للصهاينة لبناءِ اقتصادهم الخاص، وقامت الصحافةُ التابعةُ للنظام الفاشيّ بنشر مقالاتٍ داعمة لهم، وذهب الأمر بموسوليني لأن يقول للحاخام ديفيد براتو، الذي أصبح حاخام روما: «كي تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا على دولةٍ يهودية لها علمٌ يهودي ولغة يهودية».

أوجه الشبه بين النازية والصهيونية

يؤكّد المسيري وجودَ ترابطٍ لصيقٍ بين الصهيونية والنازية رغم احتكار اليهود لدورِ الضحية على حساب بقية الضحايا الذين قتلهم هتلر. يقول المسيري: «ثمة علاقةٌ وطيدةٌ بين النازية والصهيونية تستحقّ الدراسة، وقد يكون من المفيد أن نقررّ أنّ النازية والصهيونية ليسا بأيّ حالٍ انحرافاً عن الحضارةِ الغربية الحديثة، بل يمثّلان تيّارين أساسيين فيها، ولعلّ أكبر دليل على أنّ الصهيونيةَ جزءٌ أصيل من الحضارةِ الغربية أنّ

الغربَ يحاول تعويضَ اليهود عمّا لحقَ بهم على يد النازيّين بإنشاءِ الدولة الصهيونية على جثثِ الفلسطينيين، وكأنّ جريمة أوشفيتنز يمكن أن تُمحى بارتكابِ جريمة دير ياسين أو مذبحة بيروت أو مذبحة قانا» ويوضّح المسيري كيف استخدمت الصهيونيةُ وسائلَ الإمبرياليةِ الغربيةِ التقليديةِ في غزو الأرضِ وقمعِ السكّان وترحيلهم وتهجيرهم، فالغرب الذي أفرز هتلر هو ذاته الذي ينظر بإعجاب إلى غزو الكيان الصهيوني للدول العربية، ووفقاً لتعبير المسيري: «هو الغربُ الذي ينظر بحيادٍ وموضوعيةٍ داروينية للجريمة التي ارتُكبتْ وتُرتكب في فلسطين».

أشار المسيري في كتابه إلى الأصولِ الألمانيةِ الراسخة للزعماءِ الصهاينة الذين صاغوا الأطروحاتِ الألمانيةَ الأساسية؛ مثل تيودور هرتزل وماكس نوردو وألفريد نوسيج وأوتو ووربورج. وكيف تأثّرت النازيةُ بالفلسفةِ الألمانية، وبشكلٍ خاصٍّ الفكر النيتشويّ الذي وصفه المسيري بأنه «منظومةٌ شبه متكاملةٍ استنبطها الإنسانُ الغربيُّ من أعمال نيتشه وحقّقت من الذيوع والشيوع ما يفوق أعمال نيتشه الفلسفية».

دور النازية في إنشاء الكيان الصهيوني:

في هذا الإطار يمكن فهم الدور الذي لعبته المنظمةُ الصهيونيةُ الألمانية بالتواطؤ مع النازيين مِن أجل إنشاء دولةٍ صهيونية، وذلك عبر الترويجِ الصهيونيِّ لفكرةِ انتماء اليهود الألمان إلى دولةٍ تخصُّهم لا إلى ألمانيا، والتقوا مع النازيّين حولَ ضرورةِ حفاظ كلٍّ من الشعبين، أي اليهوديّ والألماني، على نقاء عِرقه بِمنع الزيجات المختلطة، وبرّرت الصهيونيةُ استخدامَ النازيّين للقوة وسفكِ الدماء مِن أجل تحقيق أهدافهم، بهذا قدّمت الصهيونيةُ نفسَها على أنّها الحلُّ الوحيدُ الذي يساهم في خلاصِ الشعبِ اليهوديِّ، وذلك عبر تسهيل هِجرتهم إلى فلسطين وإنشاء دولةٍ يهوديّة، وكانت المجلّاتُ الصهيونيةُ هي الوحيدة، غير النازية، التي يُسمح لها بالصدور في ألمانيا إلى جانبِ المجلّات النازية، ومنظّرو الصهيونية مِن أمثال بن

غوريون وحاييم وايزمان وأرثر روبين مُرحَّبٌ بهم في دور النشر الألمانية. فالنازيون ينظرون إلى اليهوديّ الصهيونيّ بطريقة مختلفة عن اليهودي غير الصهيوني لأنّ الأوّل صاحبَ هويّةٍ عضويّة خلافاً للآخرالذي يندمج وينتمي بسهولة إلى مجتمعاتٍ مختلفة. وبذلك تمّ العملُ على تهيئةِ الأجواء وتمهيدها من أجل حثّ اليهود على الهجرة والاستقرار في فلسطين. بعد قراءةِ ومتابعة الأجواءِ التي سادت ألمانيا فترةَ بزوغِ الفكرين النازيّ والصهيوني، لا نتفاجأ بأن نرى الحكومةَ الألمانيّة الحاليّة في مُقدمة الداعمين للكيان الصهيوني، بِخاصّة عبر تصريح وزيرة الخارجية الألمانية، أنالينا بيربوك، الأخير الذي يبيح للكيان الصهيوني قتل المدنيين وقصف المدارس في حال اختبأ عناصرُ حماس فيها. إذن، لا تقفُ المسألةُ عند محاولةِ التعويض أو التكفيرِ عن عقدةِ الذنبِ الألمانيةِ بسبب الهولوكوست، التي تاجر بها اليهودُ الصهاينةُ بِلاهوادة، فالأمر يعود إلى الجذورِ الفكريّةِ والفلسفيةِ المشتركةِ التي تربط الصهيونيّة بألمانيا ناهيك عن المصالح الغربية الدائمة في وجود كيان يمثّل امتداداً للاستعمار القديم إنما بصيغةٍ أحدث وأكثر تعقيداً.

موقف المثقفين العرب:

ممّا لا شكّ فيه أنّ خطراً داهماً هدّد ومازال يهدّد سلامَ البلاد العربية المحيطة بالكيان الصهيوني، مِن المفترض أن يواجه بثقافةٍ وفكرٍ قادرين على تفنيد الفكر الصهيوني، لا سيّما في ظل العمل الدؤوب للمؤسّساتِ الصهيونية المنتشرة في كل مكان من أجل التسويق لأدبياتها ومصطلحاتها وسرديّاتها ومفاهيمها وأهدافها، حيث نلمس مؤخّراً كيف نجحتْ بشكلٍ ملحوظ في تغيير ذهنية شريحةٍ لا يستهان بها من العرب. صحيحٌ أنّ الأمر بدأ خجولاً قبل عقودٍ بعد الاتفاقيّاتِ السياسيةِ المبرمة بين الكيان الصهيوني وعدّة دول عربية، لكنّه أخذ بالانتشار المُقلق مع مطلع الألفية الجديدة، وتفاقم مع مرحلة التشظّي التي أصابت الشارعَ العربي منذ بدايات ما يُسمّى بالربيع العربي. فهل انتبه

المثقفّون العرب باكراً للمُصطلحات والأدبيّات التي بدأت تلقى رواجاً عند شرائح واسعة من العرب؟ وما موقف المثقّف العربي اليوم من عَصْفِ الأفكار الصهيونيّة الوافدة عبر أقنية إعلامية ومواقع ثقافية تسعى لنسفِ كثيرٍ مِن المسلَّماتِ والثوابت العربيةِ مِن أجل رسم خارطة «الشرق الأوسط الجديد» الذي مهّدت له وزيرة الخارجية السابقة كونداليزا رايس ويثبت اليوم رئيس الكيان المحتل بنيامين نتنياهو أنه على رأس أهدافه؟ في كتابه (**المثقفون العرب وإسرائيل**) حذّر الكاتب (جلال أمين) مِن التعود على استعمال عباراتٍ ومفاهيم جديدة وكثيرة غير صادرةٍ عنا كعرب، بدأ ترديدها عقبَ عقد اتفاقيات وصفقات سياسيةٍ عربية مع الكيان الصهيوني، إضافة إلى استيراد بعضها مِن قِبل المثقفين العرب المُطّلعين على الفكر الغربي بأحدث إنتاجاته. مِن المصطلحات التي حذّر منها جلال أمين مصطلحُ الشرق الأوسط، والسوق الشرق أوسطية الجديد، والتطبيع، إذ يقول مستهجناً مصطلح التطبيع: «وكأنّ العلاقات مع الكيان الصهيوني هي الأمرُ الطبيعي، مع أنّ الأمرَ الطبيعيَّ ألّا تكون هناك أيُّ علاقةٍ على الإطلاق» ويضيف معلقاً على مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يهدّد الهويّة العربية بقدر ما يضرُّ بمصالح الاقتصاد العربي: «إن فكرة السوق الشرق أوسطية ليست جزءاً من أجندة عربية، أي لم تكن بنداً من بنود جدولٍ للأعمال أعدّه العرب، بل هي جزءٌ من أجندة صهيونية فرضت علينا مناقشتُه فرضاً»، وفي فقرة لاحقة يقول: «إني أزعم أنّ الثقافة العربية والفكر العربي والهويّة العربية تحتاج إلى حمايةٍ كما يحتاجها الاقتصاد العربي، وأنّ الانفتاح على الكيان الصهيوني يهدّد الثقافةَ العربية كما يهدّد الاقتصادَ العربي والسبب هنا أن الكيان الصهيوني ليس مجرّد دولةٍ من الدول بل هو مشروعٌ، والانفتاح عليه ليس كالانفتاح على هولندا أو بلجيكا بل هو أشبه بالانفتاح على دولةٍ استعمارية لها مشروعها الذي يتناقض تناقضاً أساسياً مع مشروع الدولة الخاضعة لها».

لا يختلف اثنان على أنّ الموقفَ الثقافيّ العربيّ مِن الصهيونية والفكر الصهيوني كان في مُعظمه رافضاً ومناهضاً بشدّة لجميع طروحاتها قبل عدة عقود، إلا أنّ هذا يتغيّر، إذ بِحجّة الانفتاح على الرأي الآخر وأهميّة المرونة في التعاطي مع الواقع الجديد أصبحنا نلمح تقبّلاً ليس للمصطلحات والمفاهيم والمشروعات الوافدة فحسب، بل للكيان الصهيوني وممارساته بحقِّ أهل الأرض في مختلف الدول، وهنا إذ نُحيّد موقفَ مَن تبدو لهم مصالح ضيقةٍ بوجود الكيان وتمكين مشروعه الاستيطاني التوسعيّ مِن الجهلة، باعتبارهم الفئة النشاز التي تلقى استهجاناً عربياً واسعاً، فمن الضروري أن نراجع مليّاً مواقف بعض المثقفين العرب المتصالحين مع هذا الفكر العنصري، باعتبارهم أشد خطراً من الناس العاديين، إذ يستطيعون المناورةَ وسَوقَ الحُجج والفلسفات التي من شأنها أن تخدم المشروع الصهيوني، لا لإيمانهم به تماماً بل بسبب الترحيب الذي يلقاه هؤلاء في كثيرٍ من المؤسّسات الثقافية والأدبية الغربية، ليس هذا فقط بل يُمنح الكثيرون منهم تكريماتٍ استثنائيةً وجوائزَ رفيعةَ المستوى مِن شأنها تقديمهم كممثّلين حصريين لبلدانهم ومجتمعاتهم. وليس على المثقّف العربي المقيم في الغرب أو الذي ينضوي تحت رايةِ وتوجُّهات الثقافة الغربية المتواطئة مع الفكر الصهيوني ويقدم نفسه سفيراً لطروحاتها إلّا أن يكون النموذجَ أو المثالَ المرغوب والمناسب لأجل تكريس قناعاتٍ محدّدة أو إيصال رسائل بعينها إلى المجتمع الغربي مِن جهة، وأن يغري باقي المثقفين مِن بَني جلدته كي يحتذوا حذوه لنيل الشهرة والحفاوة الدائمتين؛ بهذا الشكل يُسهم في نشر الآراء والمشاريع الوافدة بسرعةٍ باعتباره الشخصيةَ العربية التي تستضيفها جميعُ المنصاتِ الأوروبيةِ والأميركيةِ المتقدمة.

عن مثل هذا الدور المنوّط بالمثقّف العربيّ المرغوب أوروبيّاً تحدّث (باسكال بونيفاس) في كتابه (المثقفون المزيفون) عن الآليّة التي يؤثّر فيها الإعلام الغربيّ على

الوعي الجمعيّ للناس، سواء عبر المثقفين العرب الذين يُخصّص لهم منابره المتنوعة، أو عبر التضييق على المثقفين الأجانب الذين يخالفون السياسة الغربية ذات التوجّه الصهيوني الصرف. (بونيفاس) الذي اتُّهم نفسُه بمعاداة السامية بسبب مذكرةٍ تقدّم بها للحزب الاشتراكي الذي كان عضواً فيه؛ يؤكد فيها على التناقض بين مبادىء اليسار وواقع احتلال الأراضي ومعاملةِ شعبٍ ما بالقمع. أشار بونيفاس إلى الحاجة المُلحّة في الغرب لوجود أصواتٍ تؤيّد سياسة الكيان الصهيوني مِن وجهة نظرٍ يسارية وغير يهودية كي تكون مقنعةً للمتلقي. وأورد أمثلةً عن استخدام بعضِ المثقفين العرب والمسلمين مِن أجل بثّ روحٍ معاديةٍ للعرب والإسلام وتقديمِ الكيان الصهيوني على أنه المحاربُ الأبرزُ في وجه الظلاميّة والإرهاب، إذ إنّ استخدام مثقفٍ غربيٍّ لهذه الغاية سوف يُعد عنصريةً أما استخدام مثقفٍ عربيٍّ علمانيٍّ سوف يحظى بصدىً وأثرٍ كبيرين، ولقد أورد بونيفاس من بين الأمثلة على ذلك (محمد سيفاوي) الذي كتب في مقدمة كتاب كلود مونيكيه «غزة الكذبة الكبرى»: «أصرُّ على القول بوضوحٍ ودون مواربةٍ بأنّني في الحرب الدائرة بين الكيان الصهيوني وحماس أؤيّد الكيان الصهيوني في صراعه المشروعِ ضدّ هذه المنظّمة الإرهابية التي تحرّكها الأيديولوجية الفاشية؛ التي هي نظرية الأخوان المسلمين وسأعبِّر عن أسباب هذا الموقف بأوضح ما يمكن، أنا مسلمٌ ديموقراطيٌّ وعلمانيٌّ أنتمي إلى اليسارومنفتحٌ جداً على القضية الفلسطينية وفوق ذلك شديدُ التمسُّك بحقِّ هذا الشعبِ في أن تكون له دولةٌ سيّدةٌ حرّة ومعاصرة، ديموقراطيةٌ ومزدهرة» ويصف بونيفاس المناخَ الذي يُدلي فيه سيفاوي بتصريحاته قائلاً: «سرعان ما أصبح سيفاوي المهاجمُ العنيفُ للنزعة الإسلامية خبيراً تتم استشارته في وسائل إعلامٍ عديدة، يظهر على كل المنصّات التلفزيونية لممارسة هجومه العنيف على الإسلامويّة، وأصبح عضواً في أسرة تحرير مجلة ذات توجّه محافظ..».

في هذا الصدد، أصبح مِن المألوف جداً تكرارُ هذا النموذج على وسائل إعلامٍ ومنصاتٍ ثقافية عربية، وبحجّة محاولة الخروج مِن قوالب التفكيرِ النمطية السابقة، التي تُكنُّ عداءً شديداً للكيان الصهيوني وتدعم حقّ الشعوبِ العربيةِ في مقاومتِه واستعادة أراضيها، فإنّ مسألة التآلفِ والانسجام مع وجودِ الكيان المحتلِّ وتجاوزه في حربه لِجميع الخطوط الحمراء والمحرمات تكاد تصبح قالباً جديداً مفروضاً بقوة عنفِ فكريّ تمارسه جهاتٌ تملك النفوذ والصلاحيات وجميع النوافذ المتاحة.

خلط في المفاهيم:

المفارقة، أنه في جميع الطروحاتِ التي تنتقدُ حركات المقاومة باعتبارها ذات طابعٍ إسلامي، يتمّ التغافل دوماً عن الطابعِ الديني المتطرّف الذي قام عليه الكيان الصهيوني، إذ يشيد البعض بأنها الديموقراطية الوحيدة في المنطقة، رغم الاستبداد والإرهاب غير المسبوق الذي تمارسه ضدّ الشعوب المُحتلّة، هذا التغافل جاء نتيجةِ نجاحِ الصهيونية في خلطِ المفاهيمِ والحقوقِ، وبالتالي النَّيل من قدرة مريديها على إجراء المحاكمات المنطقية.

خاتمة:

في أوروبا أدّى البطشُ والعنجهيةُ المُفرِطان إلى سقوط النازية، فأصبح ذكرها وصمةَ عارٍ تُلاحق جميع أتباعها ومناصريها، وإنّ المجرى الطبيعيّ للتاريخِ والحياةِ والفطرة البشريةِ يفرض أن تسقط جميع الحركات العنصريةُ المأزومة بإرادة الشعوب الحرة، فهل هذا الإفراط في العنف المستخدم مِن قبل الكيان الصهيوني مؤشر على قرب سقوط الصهيونية؟ مِن شأن الأيام القادمة أن تثبت ذلك.

المراجع:

-كتاب (الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ). المؤلف: عبد الوهاب المسيري

-كتاب (المثقفون العرب وإسرائيل). المؤلف: جلال أمين

-كتاب (المثقفون المزيفون). المؤلف: باسكال بونيفاس

-مقالات مختلفة على الانترنت

هوية البحث

اسم الباحثة: عبير جميل سليمان - باحثة وكاتبة سورية

عنوان البحث: هل أعادت النازية إنتاج نفسها من خلال الصهيونية؟

تأريخ النشر: كانون الثاني - يناير 2025

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org